تحت شعار «الدولة العربية اشكاليات وآفاق».. د. عزمى بشارة:

تكريس الهوية محدد أساسي للوحدة العربية دون تجاهل لحقوق غير العرب

أيمن صقر

نظم قسم الشئون الدولية بجامعة قطر ندوة بعنوان " الدولة العربية اشكاليات وآفاق" بمشاركة عدد كبير من المفكرين العرب منهم السادة د. عزمي بشارة المفكر والناشط السياسي العربي، وعبد الوهاب بدرخان، الصحفي والكاتب العربي د. إبراهيم عرفات أستاذ العلوم السياسية بجامعتي قطر والقاهرة وعدد كبير من أعضاء هيئة التدريس بجامعة قطر وجامعات عربية أخرى. وتتناول الندوة التى ستستمر لمدة يومين في خمس جلسات كل الجوانب المتعلقة بالدولة العربية من حيث - الهوية - - الوحدة - العروبة - العولمة - الأمة - الهيمنة - السلطة - المجتمع - التقدم - الإنجاز - التاريخ - اللغة. وفي كلمته في افتتاح هذه الندوة أكد الدكتور قاسم شعبان عميد كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر أن تنظيم هذه الندوة يأتي في إطار الأنشطة والفعاليات الثقافية والعملية لقسم الشئون الدولية الذي يسعى لجعل طلابه وطالباته أكثر قدرة على التعامل مع المفاهيم المختلفة خاصة تلك المتعلقة منها بالقضايا العربية وفي مقدمتها مسألة الهوية ومفهوم الدولة والجوانب الجيوسياسية المرتبطة بتكوينها في العالم العربي ورحب الدكتور قاسم بالمشاركين في هذه الندوة.

عزمى بشارة يتحدث خلال الندوة

د.قاسم شعبان

د.اميرة سنبل

د. إبراهيم عرفات: الدولة بالمعنى التشغيلي ناقصة وقاصرة

عبد الوهاب بدرخان: الدولة العربية الحديثة غير واضحة المعالم

جانب من الحضور

المشاركون فى الندوة

وقد تحدث في الجلسة الأولى من جلسات الندوة المفكر والسياسي العربي د. عزمي بشارة وأدارتها الدكتورة أميرة سنبل رئيسة قسم الشئون الدولية بجامعة قطر حيث تناول فيها الدكتور بشارة موضوع "الدولة العربية والديمقراطية "

وأكد أنه لا توجد أي أيديولوجية عربية تؤسس لشرعية الدولة القطرية بمفهومها القائم على التحالف بين العلمانيين والاستبداد وهو تحالف غريب من نوعه حيث أصبحت الكثير من الأنظمة العربية تعمل على وتيرة التخويف لمواطنيها من خطر الفوضى للاستمرار في الحكم.

وحذر بشارة من استيراد الديمقراطية أو فرضها بالقوة وفي قوالب جاهزة لأن ذلك الجانب من الديمقراطية هو جانب شكلي يهتم بالقشور فقط، وقد جربته دول عربية عديدة فكانت المجالس المنتخبة مجرد ديكور لأنها كانت ردة فعل على مواقف لحظية غير مؤسسة على وعي مجتمعي بحتمية الديمقراطية كما حصل في أوروبا على مدار قرون من الزمن إذ أن الديمقراطية الغربية لم تصنع بالثورات كما يحاول البعض أن يروج بل جاءت بشكل طبيعي تمليه ظروف التطور البشري في تلك المجتمعات وفي كل مجتمعات مماثلة ومن هنا فإن المبادرة إلى الإصلاح كثيرا ما تجر النظام الذي بادر إلى الإصلاح لفقدان السيطرة على الأمور كما حصل في الاتحاد السوفيتي أيام غورباتشوف.

وهو أمر فهمته الأنظمة العربية فعمدت إلى اختيار نوع آخر مع التعاطي الديمقراطي يترك الأمر كله بيد الأجهزة الأمنية وينظم من حين لآخر انتخابات هزلية فلكلورية لا تتعدى انتخابات برلمانية لا يشارك الفائز فيها في صناعة القرار السياسي وهو ما جعل الجماهير تعزف عن المشاركة فيها بعد سنوات من كشفها لحقيقة اللعبة.

وقال الدكتور بشارة انه وبحكم الاخفاق الأميركي في تثبيت نموذج ديمقراطي كذلك الذي وعدت به إدارة الرئيس بوش في العراق وأفغانستان لم يعد الكثير من المثقفين العلمانيين بالذات يثقون في تلك الوعود مما جعلهم أكثر استعدادا للتحالف مع الأنظمة الاستبدادية خوفا من الفوضى أو من الدولة الدينية الشمولية! وهي مسألة جعلت الاستبداد يتطور في الجمهوريات العربية بشكل أكثر سوءا مما هو حاصل في الملكيات

وقال ان الثقافة السياسية لم تساهم في التحول الديمقراطي بل أرجعت الشعوب إلى الوراء لتصبح العشيرة أو الطائلة هي مصدر الحماية والحصول على الحقوق وليس الدولة فالمواطنة لم يعد مصدرها الانتماء للوطن أو الهوية بل غدت هناك مفاهيم عائمة لمفهوم الدولة والهوية والانتماء تغيب لها محددات واضحة المعالم فالنظام السياسي يستطيع أن يغير الهوية بجرة قلم! بعكس دول أخرى خلقت هوية من لا شيء فإسرائيل مثلا بفرضها اللغة العبرية في الجامعات والمدارس وباعتزازها بالانتماء اليهودي وتحويلها الدولة من العلمانية تحاول تكريس هوية وطنية خاصة بها ولذلك يبقى من المهم تكريس الهوية العربية كمحدد أساسي للوحدة العربية دون تجاهل لحقوق غير العرب. وقد رد الدكتور بشارة على تساؤلات ومداخلات الجمهور التي توسعت حتى شملت العديد من القضايا السياسية التي تهم المواطن العربي من المحيط إلى الخليج..مؤكدا تحول الاصلاح إلى أداة من أدوات تفكيك المجتمع كما نشاهد في الدول العربية التي مرت بتجربة الحياة التعددية.

وتناولت الجلسة الثانية التي أدارها الدكتور محمد المسفر أستاذ العلوم السياسية بجامعة قطر موضوع" طبيعة وماهية الدولة العربية " وتحدث فيها الدكتور إبراهيم عرفات أستاذ العلوم السياسية بجامعتي قطر والقاهرة عن مفهوم الدولة والكيان وتساءل هل نحن امام دولة عربية ام اننا امام مجموعة من الدول العربية

وقال نحن اليوم نواجه ازدحاما نظريا على سبيل المثال نسمع كثيرا عن دولة رعوية واخرى بوليسية ودولة ما بعد الاستعمار ودولة ليبرالية وغيرها ورأى ان الدولة لها تطبيقات مختلفة واستقرت ادبيات علم السياسة على بديهيات الدولة العربية والسير عكس البديهيات واشار الى ان الدولة هي المؤسسات التي تصنع وتطبق القواعد وتمارس العنف من اجل المنفعة العامة مؤكدا ان الدولة بالمعنى التشغيلي ناقصة وقاصرة وقدم 6 بديهيات اساسية لمعرفة اين تقف الدولة العربية

واشار الى ان الدولة تقوم بالوظائف

د. خالد أبا الزمات: الانتخابات أحد العوامل التي تؤثر وتتأثر بمسيرة واستمرار الدولة العربية

الادارية والتنظيمية فهي جهاز خدمي تخلق هوية وانتماء لدى الناس في اسطورة تخلقها الدولة وهي ليست تنزيلا ربانيا بل هي من صنع البشر..مبينا ان الدولة بكل هذه المعايير تخالف وظائفها من خلال الفكر السياسي

وعرض بعض استطلاعات الرأي الذي اجرته قناة الجزيرة نت حيث تشير الاستطلاعات ان 89 % من الناس تشعر بالقمع و41 % تطالب بالحصول على جنسية اخرى وتتمنى 60 % حصول الابناء على جنسية اثناء الولادة و68 % رأوا ان الاستعمار افضل من الانظمة العربية و94 % تمنوا محاكمة الانظمة العربية و78 % ان يثوروا المهمشين وقال ان هذه المؤشرات تعتبر فشلا للدولة خاصة اننا نشاهد ارتالا من الناس امام السفارات من اجل الحصول على هويات دول اخرى ويركزون على الحصول على دولة بديلة موضحا ان الدولة البديلة اخطر من الدولة الرسمية.

وفي الشق الثاني من البديهيات تحدث عن تكوين الدولة المدني وليس العسكري معتبرا ان المؤسسة العسكرية تقوم الان بغير وظائفها مبينا ان المجتمع لا يرفض وجودها بل يطالب بتحديد ما هو مدني وما هو عسكري خاصة بعد نشوء حالة عسكرة العالم العربي وفي البديهية الثالثة رأى ان الدولة العربية لم تغلغل في الداخل وبدلا من ان تبدأ بالتركيز على احتواء الوطن تفكر خارج الوطن واعطى نموذج التجربة المصرية واليمنية. وقال ان البديهية الرابعة تتعلق بالتميز الواضح بين العام والخاص ووجود خلل في تحديد المسافة وفي البند الخامس تحدث عن فطرة الانسان وذاكرة ما حدث في العالم العربي مؤكدا ان قطر والامارات هي الافضل في الاداء

وشدد على ضرورة ان يكون للدولة وظيفة اخلاقية مجتمعية وقال اننا اليوم في عصر ما قبل الدولة نحن امام اشباه دول عاجزة عن التشغيل على الاقل لخلق هوية وطنية وتساءل كم يتسرب من الدولة العربية بالهجرة والتفتيش عن وطن بديل.

وتحدث الصحفي عبد الوهاب بدر خان فتناول الموضوع من زاوية أن الدساتير العربية كثيرا ما تم تجميد العمل بها لصالح السلطة السياسية وأجهزتها الأمنية التي تطبق سياسة استبدادية لا تمت بصلة لواقع ما يتم تدريسه لطلاب العلوم السياسية من فصل للسلطات وحقوق سياسية ومدنية للمواطن تكفلها له الدساتير.

وقال إن الدولة العربية الحديثة غير واضحة المعالم لأنها تشكلت من مجموعة نماذج تخلط بين مفهوم الدولة الإسلامية القديمة بكل ما تحمله من إرث يعطي صفة الحكم المطلق للحاكم، وبين دول غربية حديثة تحكمها نظم أخرى غريبة عن مجتمعاتنا وظروفها الاقتصادية والسياسية.

وهناك خطر آخر يهدد كيان هذه الدولة وهو التفكك فالاثنيات المتصارعة في كثير من الدول العربية والنظرة غير الموحدة أو المتساوية للمواطن داخل الدولة العربية كلها أمور يجب الانتباه إليها كما أن القضية الفلسطينية وفشل النظام العربي الرسمي في استعادة الأرض وفشل المجتمع الدولي في تطبيق القانون الدولي على المعتدي جعلت أنظمة الحكم تعتمد على الجيوش في حمايتها وتمارس نوعا من التطبيق لهذه السياسة الغابوية على مواطنيها في ظل غياب كامل لتطبيق القوانين الدولية في العديد من الأنظمة لدرجة أن أجهزة الشرطة في بعض الدول مثل مصر مثلا أصبحت لا تستطيع العمل خارج نظام الطوارئ! ومفهوم الدولة وفق تعريفاتها السياسية والقانونية كان حاضرا في مداخلة الدكتور إبراهيم عرفات.

وفي الجلسة الثالثة تناول موضوع "الدولة العربية بين الاستمرار والتغيير" حيث ادار الجلسة الدكتور طائف الأزهري وكان المتحدثون: الدكتورة دلال البزري أستاذة مساعدة في معهد العلوم الاجتماعية. الجامعة اللبنانية والدكتور ياسر الخلايلة أستاذ مشارك بكلية القانون، جامعة قطر والدكتور خالد أبا الزمات، رئيس قسم العلوم الإنسانية، جامعة قطر حيث تحدث ابا الزمات عن الدولة العربية بين الاستمرار والتغير رؤية جيوبوليتكية فتناول فيها الاسباب والعوامل التي تؤثر في الدولة العربية وفي استمراريتها وفي ابراز تلك العوامل والتحديات المحلية.

وقال ان الانتخابات على سبيل المثال احد العوامل التي تؤثر وتتأثر بمسيرة واستمرار الدولة العربية ومن التحديات انه لاتوجد رؤية واضحة تجاه موضوع الانتخابات من حيث الاعداد لها وتقسيم الدوائر الانتخابية وقوائم المرشحين وغيرها دون الرجوع الى معايير واشتراطات الامم المتحدة وهذه المعايير لا يؤخذ بها من قبل الدول العربية خاصة ان بعض المعايير تخضع للعامل الجغرافي السكاني حيث توزع السكان ونمو السكان ولم تأخذ الجد مسألة وعي الناس حيث بدأ يزداد في الاونة الاخيرة واصبحت وسائل الاتصال متاحة وان تزوير وتزييف الانتخابات لم يعد مقبولا لما كان بالامس.

اما العامل الثاني الشرعية حيث ان شرعية هذه الانظمة بدأت تتناقص شيئا فشيئا سواء بالنسبة للاحزاب الحاكمة او للمرشحين الذين تدعمهم الحكومة حيث ان هاتين الفئتين بدأت تستخف بعقل المواطن وتنفذ اجندة الحكومة مما ادى الى اتساع الفجوة ما بين طبقة الاغنياء والفقراء اما العامل الثالث من التحديات فهو التعليم خاصة التعليم بشتى انواعه ولو نظرنا للتعليم العالي بالدول العربية لوجدنا ان بعض الدول الخليجية تتسابق فيما يسمى صناعة التعليم بدلا من صناعة الابراج وبدأت تنشئ فروعا للجامعات الخاصة وغير المعترف بها حتى في بلادها وكانت هذه الصناعة تدر دخلا مجزيا لها.

وقال اما دولة قطر الحمد الله انها جاءت بافضل الجامعات المتخصصة اخذة بعين الاعتبار المعايير المهنية والاكاديمية وما يحتاجه سوق العمل

وتحدث الدكتور ابا الزمات ايضا عن العوامل الاقليمية التي تتمثل بسوء ادارة منظمة الجامعة العربية كما تناول الاعتبار السياسي للقضية الفلسطينية وتحدث عن العوامل الدولية مثل ظهور روسيا كمحاولة لاستعادة النفوذ وعليه يجب على الدول العربية الاخذ بالاعتبار من الدروس التالية اولا - تشجيع الديمقراطية والمؤسساتية ثانيا- تعزيز مفهوم المواطنة ثالثا- اصلاح التعليم واعادة هيكلة الجامعة العربية من حيث الاليات والوسائل

ومن المقرر ان تتناول الجلسة الرابعة اليوم موضوع "الدولة الفاشلة: نماذج عربية برؤية طلاب قسم الشؤون الدولية"، رئيس الجلسة د. مارك فرحة أستاذ مساعد بكلية جورج تاون، والمتحدثون: أ.آمنة العمادي (حالة مصر)، أ.هند السليطي (حالة الجزائر)، أ. فاطمة علي (حالة لبنان) ليكون ختام الندوة بجلسة نقاش تحت عنوان "الدولة العربية إلى أين (حلقة نقاش)" وستدير الجلسة: د. أميرة سنبل، المتحدثون: د. عزمي بشارة، د. دلال البزري، أ. عبد الوهاب بدرخان، د. إبراهيم عرفات.